حاجتنا الى المجلات العلمية

اذا دخلت الى مصنع عصري كبير او صغير وأجلت النظر في مختلف دوائره واقسامه رأيت في زاوية صغيرة منهُ جهازاً محكم الصنع والوضع تصدرُ منهُ قوة سرية تدير هاتيك الآلات الضخمة من دواليب وادوات لا يحصرها العدُّ فتنتج كل ما يرام صنعهُ من عروض ومواد وصنوف من الحاجات هي مدار مرافق الامة ومقياس حياتها في الحضارة والعمران

كذلك الثقافة من الامة . فهي المحرك الاكبر الكهربائي المعنوي لجهاز حياتها على اختلاف مناحي الحياة في النساء والرجال من افراد وعيال . ومن رام استيفاء الكلام على الثقافة في اي بلد لا بدَّ لهُ من النظر في درجتها من القوة والضعف وسعة دائرتها ومقدار شمولها ونسبة الحاجة اليها من حالة الامة الاجتماعية وعدد الطلاَّب مع فعلها في تنوير الاذهان واصلاح الاخلاق واتجاهها الى نواحي الارتقاء صناعةً وزراعةً وتجارةً ، المثلث العمراني لكل قوم يريد حياة السعادة والفلاح

ولما كان هذا البحث يتناول الوقوف على شؤون المعارف الحكومية والاهلية في كل قطر وما فيهِ من هيئات علمية من جمعيات ومكتبات ومبلغ منشوراتها من كتب وجرائد ومجلات رأينا ان نقتصر اليوم على الكلام في مجلاتنا العلمية وحاجتنا اليها مرجئين ما يتعلق بالجرائد اليومية والاسبوعية الى نبذة اخرى ان شاء الله

اما المجلات العلمية التي اقتضى الشرق العربي يقتضي انشاءها على سنن التدرُّج الطبيعي في مصر العربية مقعد الآمال وكعبة الطلاَّب فهي على الاخص :

﴿ الاولى ﴾ مجلة تاريخية يكون غرضها الاقصى(١) الاستعانة بارباب التحقيق في التاريخ الشرقي على الاجمال والعربي على الخصوص وتمحيص الروايات المجروحة الواردة في تضاعيف الكتب العربية منذ عهد الاسلام ، ونشر ما يصحُّ من نتائج هذا التحقيق على الوجه الاحكم من حسن الاختيار وتقديم الاهم على المهم وسوق الكلام على منهج جلاَّب للذة والانشراح خلافاً لما في تلك الاصول من ضروب الحشو ودس الاوهام والخرافات . ولا يخفى على العارفين ما طوت تلك الاسفار الضخمة من المنقولات المتحلات المتسلسلة من اخبار مدسوسة ومسائل موهومة شوهت وجهه الحقائق

وكانت من اضاليل تاريخنا الديني والاجتماعي وعوامل التفرقة وغوائل الاحن والبغضاء بين ملل الشرق ونحلهِ الى اليوم ، عدا ما سجلتهُ علينا من المعايب الجنسية عند صغار الاحلام من الغربيين

والذي يقرّب لنا تحقيق هذه المأثرة التاريخية نبوغ عدد صالح من طليعة المتخرجين الشرقيين في كبريات المدارس الاوروبية من جامعات ومتخصصات فاضطلعوا باساليب البحث وصحة النقد وصدق النظر والتجرد عن الهوى القومي ووقفوا على مراجع المآخذ التي ازدانت بها دور الكتب الغربية من مخطوطات واستأثرت بسلبهِ وجمعهِ من امهات الاسفار العربية في كل فنّ ومطلب على ما اتحفتنا بهِ همة المؤرخ العربي الشهير الاستاذ الكبير محمد افندي كرد علي في محاضرتهِ القيمة التي القاها في العام المنصرم في هذه الحاضرة على حفل جامع من كبار اهل المعارف ثم نشرت في المقتطف الاغرّ مما عزّ وجودهُ في الشرق وشق احرازهُ على عامة المطالعين ، وهذا عدا ما اختزنتهُ دار الكتب الملكية المصرية اوسع المكتبات العربية على الاطلاق واغناها باقدم المخطوطات النادرة الوجود التي ابقى عليها الدهر مما لا يقوّم بالجوهر والنضار وزان صدر مصر بوسام الفخار .(٢) نقل اهم مطويات التاريخ العربي المتصل العلائق بالشرقي ولاسيما العربيّ من سياسة وتشريع واجتماع وعلم وفن وصناعة

وفي اليقين ان مثل هذه المجلة التاريخية تلقى من نفوس الامة العربية والمستشرقين من الغربيين اعظم ترحيب واكرم اقبال خصوصاً وان حديث التاريخ حيث هو خمير من ليس لهُ خمير ونزهة المجالس وسلوة البائس وعشير الكبير والصغير لما فيهِ من مختلف السير والاقاصيص مما يخفّ وقعهُ على الاذهان بل هو اقرب اليها من سائر الفنون والمرء مطبوع على شهوة السماع للسير والحوادث ومطرف الحديث يشرح لهُ حيثما كان ويأخذه من اي كان ولاسيما اذا سبق فيهِ الكلام على وجه الاحكام

﴿الثانية﴾ مجلة اثرية يراد بها نقل ما وفّق ويوفّق اليهِ الاثريون من اهل الرحلة والتنقيب في مشارق الارض ومغاربها ولاسيما في اقطارنا الشرقية الملاى بكنوز من دفائن الارض ما قد يفوق القائم على سطحها روعة وفخامة . وعلى التخصيص ما في ارض الفراعنة المنفردة بنوادر الآثار دون سائر الامصار مما يدهش البصائر ويبهر الابصار . او ليس من المخجل المذيب والغريب العجيب ان أبناء اولئك الآباء يحرمون

ذلك التراث بل يجهلون ما خلّفت لهم الاجداد حتى يحجر عليهم ان تشتمع برؤيته العيون كان الخاصب يقول لنا ما أولئك بآبائكم ولا انتم البنون وانما نحن الوارثون

وغاية ما يستطاع بعد ما حكمت به الاقدار ان نأخذ عن علماء الآثار نتائج ما عرفوه من دفائن كنوزنا وسواحر اسرارنا مما انتهى اليه التحقيق وفيه ما تحلت به صدور المكاتب والمتاحف ويشغل نقله الاعمار والادهار. ومهما يكن من اجتهاد مجلاتنا الجامعة ومحفلنا السيارة بنشر الكثير من مكتشفات هذه الآثار حيناً بعد حين فان اجتماعها في مجلة خاصة وانتظام فرائدها في قلادة واحدة مع بديع الوصف وحكم الشرح لاقرب الى الطبع في كل شرع . واذا كنا لم نبلغ الى اليوم حداً يحمد من علم الآثار فحسبنا نقل ما حققوا منه على الاوراق الى ان تعود لنا الهمم وتنسب عن الاطواق . وان ما قلناه في شأن المجلة التاريخية من تمهيد السبل وتيسير الوسائل نقوله في المجلة الادبية اذ العلمان شقيقان في النسب متصلان في باب الطلب وكل منهما الى الآخر وصول وكل باخيه موصول

﴿الثالثة﴾ مجلة لغوية . ليس المراد هنا المجلة المختصة بالجمع اللغوي المأمول الظهور . لان غرض مجلة المجمع نشر ما عسى ان يقرره من الابحاث الحديثة المتعلقة بوضع الاصطلاحات الفنية من طريق النحت والتعريب ، والنظر في ما جدّ وشاع من المنشئين والمقتبسات من آداب الغربيين مع اصدار الاحكام المجمعية في ذلك كله مما يحتاج فيه الى الاجماع وقصد الاتباع . وانما غرض المجلة اللغوية المقصودة هنا بالذات ما يدور على محافظة القياس وصيانة القواعد المطردة من طروء الفساد فلا يصيب اللغة الفوضى والاضطراب وتعود الى يوم دعا الداعي الى وضع النحو وحديثه المعروف . فان هناك الطامة الكبرى على اللغة والامة من تبلبل الالسنة وانقسامها حزائق اذ يصبح ردّ الفتة والعود الى التجديد والتحديد من المحرجات، وان خرق سياج الوحدة اللغوية مؤدّ الى ضياع الوحدة الجامعة بين العباد والبلاد والعاقل ادرى بكارثة هذا الانقسام وذاك الشقاق

وبيان الغرض من هذه المجلة يدور على هذه الامور (١) اصلاح ما تفشّى من مخالفة القواعد العامة المطردة المقررة باجماع الأئمة المعتمدين وردّ الخارجين على القياس من متحذلقي المدارس الاجنبية الى محجة الصواب في الترجمة والانشاء . فهم الذين

يخرجون انفسهم عن مواضعه ويدسّون اتعابهم الغريبة ويزفونها شطاء شوهاء الى الاسماع وما هي الا من سقط المتاع . واكثر ما نلقي منهم هذه الايام بين كتّاب بعض الصحف اليومية ومترجمي الروايات . وهذا الذي حدا بالمجمع العلمي الدمشقي الى نشر فصول متسلسلة بعنوان (عثرات الاقلام) ممّا يُعنى بتحقيقه اهل الاطلاع ولا يفتقر الى مؤتمر ولا اجتماع ، على قياس ما صنع فقيد اللغة الشيخ العلّم ابراهيم اليازجي في فصوله متابعة من مجلّة الضياء الغرّاء وتابعه في ذلك اعلام اللغة المصلحون (٢) نقل الابحاث الطلّية الحديثة عن علماء اشتقاق اللغات والتحقيق في انسابها وطوائفها والمقابلة بين اصولها وفروعها مع بيان وحدتها الاصلية والعوامل الطبيعيّة في التفريق بينها من اختلاف اللهجات باختلاف البيئات والبقاع وعوامل الاجتماع ونحو ذلك من الابحاث التي يهواها عشاق اهل البحث في العلوم والآداب كما رأيناهُ في طريقة البحاثين العلمين الاستاذ الكبير جبر ضومط والمرحوم الشهير جرجي زيدان في كتابي « خواطر في اللغة » للاول « والفلسفة اللغوية » للثاني وما اطرفنا به الاستاذ خليل السكاكيني في المقتطف في سنيه الاخيرة . والذي يجب ان يدخل في هذا الباب البحث في نشوء اللغة لعهد الانسان الاول من حكاية الاصوات على ما عُرف اليوم من ابحاث النواة المتبحّرين في علم اللغات وهو مطلبٌ جليل الشأن من احدث ما يُعنى به افذاذ المفكرين واشهر من عرفنا منهم الاستاذ الكبير عبده افندي كحيل الدمشقي الذي استهواهُ هذا المطلب الجليل فأخرج منهُ بعد العناء الثقيل في الزمن الطويل ما يدهش غواة اللغويين والمأمول ان تسفر العناية به عن حقائق تاريخيّة تتعلّق بتاريخ تطوّر الانسان وترقيه في مدارج الحضارة والعمران تأييداً لناتج غيره من علماء الحياة والاجتماع . وقد يلحق بناحية من هذا الفرع من ابواب المجلّة والاهتمام درس علم الوضع والاشتقاق العربي كما ترى في سعود المطالع وطرائق القلب والابدال في الالفاظ على نحو ما ورد في سرّ الليال للعلاّمة الجهبذ فارس اللغة واليان احمد فارس الشدياق وفي الخصائص لابن جنّي وما ينظم في سلكها من المختصرات . وكذلك يجب ان لا يغفل في المجلة عن نشر شذرات غوانٍ مختارة من كتب فقه اللغة لا يستغنى عنها في انتقاء المترادفات في الباب الواحد مما يفوت النشور عليه عامّة الكتاب من عمال الليل والنهار وتلذّ الاصابة فيه للكاتب والقارىء كما يلذ الطعام في الاذواق ويروق

للعين نظم النثر في اسلاكه ويحلو النقد في الاعناق (٣) افراد باب للنقد الأدبي في النثر والنظم من الوجهة الانشائية والمقابلة بين الطريقتين في النثرية والانثرنجية ولا سيما في تنظيم اقسام المقال في الفواتح والخواتم وارتباط الافكار ورصفها في وحدة القصد وما الى ذلك مما قلّ النظر فيه قديماً وحديثاً ولجّت الحاجة اليه في هذا العصر الذي كثر فيه الأخذ عن المنشآت النثرية من شتات الصحف والاسفار

(٤) صرف العناية بتجديد التحقيق في معاني الشعر والمقارنة بين القديم وحديثه مع المفاضلة في قوة الشاعرية وحسن الرصف والانسجام وارتباط أجزاء القصيدة من حيث المعنى وانتقاء المبنى وما يتصل بذلك من جلاء المراد وغموضه وأحوال السرقات والانتحال على ما سبق للآمدي في الموازنة بين ابي تمام والبحتري ولابن الاثير في المثل السائر واضرابهما من قول أرباب الصناعتين السابقين كصاحبي « اعجاز القرآن » و« الوساطة » من المتقدمين واليازجي الشيخ ابراهيم من المحدثين مما نراهُ ويأخذك منهُ العجب والطرب كتقدم لبعض شعر المتنبي في ختام شرح « العرف الطيب » على ما يعز نظيرهُ بين القدماء والمحدثين وكالاستاذ النابغة طه حسين في « ذكرى ابي العلاء » « والشعر الجاهلي » او « الأدب الجاهلي » كما نرّ عليه التصحيح الاخير

(٥) نشر اطيب المختارات من الشعر القديم والحديث مع شرحها لغةً وبياناً وادب المبنى على طريقة النقد والتحليل الحرّ الحديث . ولقد تقدمنا بعض المستشرقين المبرّزين في هذا السبيل بنشر عدد غير يسير من دواوين السلف العربي الصالح من جاهليين ومخضرمين ومسلمين وفيها من الشروح والتعليقات ما تطيب به خواطر عُشّاق الادب العربي المجيد . فان كان هذا جهد غريب الجنس واللسان في احياء آثار اجدادنا ومفاخر امجادنا فما اجدر التشهير بجمودنا بكل شفة ولسان

***

هذا ما عنّ في الخاطر من الحاجات الكبرى الى اعلاء شأن هذه اللغة النبيلة الجليلة بعناية الحكومة العربية المصرية الكريمة ونجدة اعلام هذا العصر سواء كانوا من علماء الازهر الشريف او متخرجي المدارس العصرية والجامعة المصرية مناط آمال الاستقلال . ولا بدّ لنا في ختام هذا الحديث من التنبيه على امرين : الاول انهُ مهما بلغ مستوى التدريس العربيّ في المدارس من تحديد المناهج والتوسّع في بعض علوم

الادب لا تزال هناك حاجة مبرحة لفئة كبيرة من عامة الطلاب والمتأدبين الى استكمال المعلومات القيمة الضرورية في كثير من الضوابط والقيود في مشتقات الافعال والمصادر والجموع وحروف المعاني المتفرقة في شتات الامهات من امثال مغني اللبيب والصبان والكليات والاستعانة بنظير المخصص وغيره من المعاجم المرتبة على ابواب المعاني . عدا ما هنالك من جلائل المسائل البيانية الآخذة بالالباب على ما يراها هواة البلاغة في مطاوي كبار الشروح والتفاسير كالكشاف البياني الفريد المشهور والطراز الحديث الظهور وهي المسائل التي جلا عرائسها اوحد اهل الفن وامامه الاكبر عبد القاهر الجرجاني في اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ونظائر هذه الجواهر من مؤلفات اولئك الائمة الواضعين الاولين الذين رفعوا للغة القرآن اعلى الاعلام ونقشت اسماؤهم على صفحات الادهار من اقطاب العلم والاسلام

الثاني انّا في كل ما أبدينا ونبديه أقطابنا اقذاذ اللغة من اعلاء كلمتها وصون مقامها عن الابتذال والاضمحلال لا نغفل عن حاجتنا الضرورية الى العلوم العصرية من طبيعية ورياضية واجتماعية وزراعية وصناعية وفنية ولها ما لها من تنوير الاذهان والمعونة القصوى في سعادة الامة ولحاقها بأمم الحضارة والعمران غير ناسين ان كل ما يتعلق بالانسان من العلوم انما هو وسيلة لا غاية ولذا عرّفت عند العلماء بالآلات

مصر . مقري فندلفت
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق

[المقتطف] بسط الكاتب الفضال الحاجة الى ثلاث مجلات تتفرغ للمباحث التاريخية والاثرية واللغوية ووضع بياناً يكاد يكون كاملاً لكل منها . ولكنهُ اغفل المجلات العلمية التي يرجى منها الخير العملي للبلدان الشرقية . فان مباحث التاريخ والآثار واللغة لها فوائد جمة كما ذكر ولكن فوائدها انفسية لا تقاس بفوائد العلوم الطبيعية وتطبيقها على مقتضيات العمران . ولذلك نرى ان حاجتنا الى مجلات العلوم الطبيعية على اختلافها اعظم من حاجتنا الى المجلات المذكورة وهي اولى بالتقديم

—o:o—